



الحركات السلفية والقتالية (٢)

جيش الإسلام

الأيدولوجيا الفكرية والرؤى السياسية

تمهيد

يعدّ «جيش الإسلام» أحد أقوى وأكبر الفصائل السورية المسلحة المعارضة للنظام في سوريا الهادفة إلى إقامة دولة خلافة إسلامية، والتي فرضت نفسها وبسطت سطوتها على مساحة جغرافية واسعة على تخوم العاصمة السورية في الغوطة الشرقية لدمشق، وتعدّ مدينة دوما معقله الرئيسي. ورغم نفيه تبعيته لأي جهة وأنّ تشكيله حصل بقرار مكوّن من السوريين أنفسهم، وتأكيداته بأنّ قراره «سوري ١٠٠٪ نابع من رحم الثورة السورية»^(١)، فإنّ المعروف أنّ هذا الجيش هو الحليف الأقرب إلى السعودية والذراع القويّة لها في سوريا الأكثر حظوة ودعمًا منها، ماليًا وعسكريًا وسياسيًا، وأنّ السعودية عملت على الدوام للدفع بقوة إلى إخراجها من التصنيف الدولي له كأحد المنظمات الإرهابية، وبالتالي، إدراجه ضمن الفئات المسلحة المعتدلة، التي ينبغي التعامل معها، دوليًا، في أية تسوية سياسية للخروج من النزاع القائم في سوريا، وقد نجحت في ذلك إلى حدّ كبير، وتجلّى ذلك في تصريح وزير الخارجية السعودي عادل الجبير في مؤتمر صحفي مشترك مع نظيره التركي مولود جاويش أوغلو خلال زيارة للرياض في معرض تعليقه على اغتيال زهران علوش، حيث أخرج «جيش الإسلام» من قائمة المنظمات الإرهابية، وأدرجه ضمن الفئات المعتدلة التي أيدت حلًا سلميًّا وتحارب داعش (تنظيم الدولة الإسلامية)، يمكن التعامل معها في إطار تحقيق تسوية سلمية في سوريا، معتبراً أنّ التوصل إلى حلّ سلمي في سورية يكون بالتعامل مع كل الفئات السورية التي لم تلطّخ أيديها بالإرهاب، والجماعات الإرهابية معروفة^(٢)، وازدادت الصورة جلاء في إصرار المملكة السعودية على تمثيل «جيش الإسلام» في مؤتمر فيينا، ونجاحها في جعل رئيس المكتب السياسي لهذا الجيش محمد علوش ممثلًا لوفد المعارضة المفاوض.

١- أنظر: بيان «جيش الإسلام» يرد على رويترز... لسنا تبعًا للسعودية، وقرارنا سوري ١٠٠٪، ٤ تشرين أول ٢٠١٣ نقلًا عن: /- zamana.wsl.net/news، ١٠-٥-٢٠١٣.

٢- هكذا علّقت السعودية على تصفية ذراعها في سوريا، ٣٠ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٥، الحدث نيوز. <http://www.alhadathnews.net>.

نشأة جيش الإسلام

تنظيم «جيش الإسلام» هو عبارة عن اندماج عدد من الألوية والفصائل المسلّحة في سوريا، تم تشكيله خلال الأزمنة السورية، حيث بدأ بنواة فصيل عسكري، وكان عددهم يومها أربعة عشر مسلّحاً، باسم «سرية الإسلام»، ثم تطوّر مع ازدياد أعداد مقاتليه ليصبح «لواء الإسلام»، وفي ٢٩ أيلول ٢٠١٣ أعلن عن توحد عشرات الألوية والفصائل في كيان «جيش الإسلام» وبات يشكّل أكبر تشكيل عسكري معارض، وكان يقوده محمد زهران بن عبد الله علوش^(٣)، قبل أن ينضمّ هذا الجيش إلى «الجبهة الإسلاميّة» التي شغل فيها علوش منصب القائد العسكري العام.

في أيلول عام ٢٠١١ جرى الإعلان عن تنظيم «سرية الإسلام»، وكان إعلان في مدينة دوما التابعة لغوطة دمشق، واستلم قيادته زهران علوش، ولقيت رعاية ودعمًا خارجياً واسعاً، دولياً وإقليمياً. واقتصرت عمليات التنظيم على التصدي للجيش السوري عند مداخل مدينة دوما، والقيام بأعمال اغتيايات لعناصر الأمن والجيش السوري، إلى جانب بعض الأعمال العسكريّة، وازدادت أعداد العناصر المسلّحة التي انضمت للتشكيل العسكري المنظم تواتراً، فقام قائد اللواء (زهران علوش) بإعلان تشكيل «لواء الإسلام» العامل في سوريا بتاريخ ١ حزيران ٢٠١٢^(٤).

خلفيات تشكيل جيش الإسلام

تنوّعت الأسباب والدوافع التي شكّلت خلفيّة لتشكيل «جيش الإسلام»، وإن كان الأبرز من بينها انقسام الجماعات المسلّحة ذات الاتجاه «الإسلامي» وتعدّد فصائلها واختلاف بناها التنظيميّة والتفاهمات والتقاطعات القائمة أو النزاعات المتنوّعة التي تحكم العلاقة بينها، وسعي الجماعات الأقوى للهيمنة على الجماعات الأضعف، وكسب المزيد من القوّة العسكريّة، وزيادة عديدها البشري، وتوسيع دائرة انتشارها، ومدّ مساحته وجودها وسطوتها داخل الجغرافيا السوريّة العسكريّة، وامتلاك المزيد من أوراق القوّة في اللعبة الدائرة في سوريا، في ظل الشعور بقرب انهيار نظام الرئيس السوري بشار الأسد، وذلك في موازاة قيام تكتلات عسكريّة أخرى، وردّاً على ما سمي بـ«الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية»، وتهميشه للقوى المسلّحة المقاتلة.

في النصف الثاني من عام ٢٠١٢ برز الإعلان عن فصائل وجماعات مسلّحة سورية ذات نزعة سلفيّة متشدّدة، على حساب «الجيش السوري الحر» الذي نشأ، برعاية ودعم خارجي، غربي وعربي، كوريث شرعي للجيش السوري النظامي أو الصيغة المعدّلة عنه، إلا أنه ما لبث أن أخذ بالتشرذم، شيئاً فشيئاً، إلى شتات من الجماعات والفصائل الإسلاميّة المتشدّدة المتنازعة، من بينها «جيش الإسلام» الذي تنتمي غالبية ألبنيته وكتائبه في الأساس إلى «الجيش السوري الحر»، حاله في ذلك حال الفصائل الأخرى، كأحرار الشام وجبهة النصرة وسواهما.

٣- محمد زهران عبد الله علوش، كنيته «أبو عبد الله»، ويلقبه أنصاره بـ«أسد الغوطة». مواليد مدينة دوما بريف دمشق عام ١٩٧١. متزوج من ثلاثة نساء، عمل في مجال الدعوة السلفية في مدينة دوما بالغوطة الشرقية، مكملًا مسيرة والده السلفي الوهابي عبد الله في الدعوة السلفية. التحق بكلية الشريعة في جامعة دمشق ودرس الماجستير ثم سافر إلى المملكة العربية السعودية حيث كان والده يقيم هناك، وأكمل التعليم في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهناك درس عند عدد كبير من المشايخ السعوديين، ومنهم عبدالعزيز بن باز ومحمد بن صالح العثيمين، وعاد ليعمل في المقاولات بسوريا، فيما كان يعمل على نشر المذهب الوهابي السلفي. خلال قيادته لجيش الإسلام دعا إلى إقامة دولة الخلافة الإسلامية التي في رأيه هي دولة الخلافة الأموية، وليس الخلافة الراشدية، وعارض في خطابه مبدأ الديمقراطية والدولة المدنية، وله كلمات كثيرة تحرض على الطائفية وتكفير الكثير من السوريين. تم اعتقاله بتهمة نشر الوهابية والسلفية في عام ٢٠١٠، ليفرج عنه بموجب عفو رئاسي مع بدايات الانتفاضة السورية عام ٢٠١١، وسارع بعد إطلاق سراحه إلى تفعيل نشاطه المعارض، بعدها سارع إلى تشكيل «سرية الإسلام» في أواخر عام ٢٠١١، وتطورت إلى «لواء الإسلام»، وأخيراً إلى «جيش الإسلام»، واستمر على رأس قيادة جيش الإسلام حتى تاريخ ٢٥ كانون أول ٢٠١٥ حيث تم اغتياله وعدد من قادة جيش الإسلام وجبهة النصرة وأحرار الشام في اجتماع في منطقة المرح بالغوطة الشرقية. يتهم بالمسؤولية عن اختفاء الناشطة السورية رزان زيتونة ورفاقها.

٤- جيش الإسلام "تنظيم يضم ٥٠ تنظيمًا إرهابيًا... شبكة نهريّن نت الإخبارية <http://nahrainnet.net/>.

ووفقاً للبيان «رقم ١» الصادر عن القيادة العامة لـ «جيش الإسلام» بتاريخ ٢٩ أيلول ٢٠١٣، تأتي نشأة هذا الجيش «جمعاً للكلمة، وتوحيداً للصف، وإرضاءً للرب» من أجل مواجهة النظام في سوريا، وإنشاء إدارة محلية بديلة عن السلطة في المناطق التي تتم السيطرة عليها وإخراجها من تحت سلطة الدولة المركزية. وقد جرت مباحة قائد لواء الإسلام وأمين عام «جبهة تحرير سوريا الإسلامية» محمد زهران علوش قائداً للجيش.

وفي هذا السياق، أكد رئيس أركان «جيش الإسلام» علي عبد الباقي أن الهدف من هذا الاندماج يعود إلى وجود «شتات وخلافات بين فصائل عسكرية كثيرة تقاوم النظام، وهذا ما يعتبر عامل ضعف لدى المقاتلين، لبدء العمل على توحيد الكتائب المقاتلة، وجمعها داخل تنظيم جيش رسمي، يحمل هيكلية تنظيمية، ولديه مؤسسات مدنية، تكون فاعلة على الأرض، ومن أهم أولويات الاندماج هو إسقاط نظام الرئيس بشار الأسد». وأوضح عبد الباقي في تصريحات لـ «الأناضول» عبر سكايب أن هذا الاندماج من جانب الفصائل العسكرية العاملة على الأرض «يعتبر بداية قوة كبيرة للم شمل معظم الحركات والفصائل العسكرية، ونواة لتوحيد الجهود بين جميع الفصائل». وعن أسباب اختيار هذه المرحلة بالتحديد لإعلان الجيش، شدد عبد الباقي بأن ذلك يعود إلى «تواطؤ الغرب مع النظام، وعدم أخذ موقف حاسم منه، خصوصاً بعد استخدام النظام للأسلحة الكيماوية، فضلاً عن تهمة إقصاء الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية لهم، وتجاهل هيئة الأركان للكتائب المقاتلة على الأرض، وتشكيل حكومة دون الرجوع إليهم»، في وقت اعتبر فيه بأنهم يمتلكون «قوة ضاربة على الأرض، فكان من اللازم تشكيل جيش رسمي، وتوحيد الجهود، من أجل الإسراع بإسقاط نظام الأسد، وحقن دماء المدنيين»^(٥).

ويبدو أن الإعلان الرسمي عن تشكيل تنظيم «جيش الإسلام» في التاريخ المذكور في البيان رقم (١) (في ٢٩ أيلول ٢٠١٣) قد جاء متأخراً عن تاريخ الاندماج في الواقع؛ وذلك استناداً إلى ما ورد على لسان قائده زهران علوش بتاريخ ٢٢ أيلول ٢٠١٣، أي قبل أيام من تاريخ الإعلان المذكور، وبصفة قائد «جيش الإسلام»، ويذكر فيه أن «توحد عشرات المجموعات في إطار تشكيل «جيش الإسلام» قبل شهر كان نتيجة هذه التوحيات التي تشهدها الساحة السورية»^(٦).

فقد جاء تأسيس «جيش الإسلام» بعد أسبوع من رفع الاعتراف عن «الائتلاف الوطني» و«الحكومة المؤقتة» من قبل ١٣ فصيلاً من كبرى الفصائل المقاتلة داخل سوريا، كما تزامن هذا التأسيس مع تشكيل «جيش السنة والجماعة» في دير الزور الذي ضم أربعة ألوية فاعلة، فيما أعلنت الألوية المقاتلة في مدينة دارياً بالغوطة الغربية توحيدها في غرفة عمليات مشتركة^(٧).

والجدير بالذكر، عدم ورود ما يثبت إجراء «جيش الإسلام» محادثات للاتحاد مع تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام «داعش»، خلافاً لبعض التنظيمات السلفية المتشددة الأساسية الأخرى في سوريا، كتنظيمي «أحرار الشام» و«جبهة النصرة» اللذين تحدّث وسائل إعلامية عن إجرائهما محادثات مماثلة مع «داعش» لهذه الغاية؛ فوفقاً لجريدة النهار التي نقلت عن وكالة رويترز بتاريخ ١٣ تشرين الأول ٢٠١٣ أن قيادياً مقرباً من جبهة «النصرة» قال إن ثلاث كتائب مسلحة تابعة لتنظيم «القاعدة» في سوريا بحثت الاندماج في جيش موحد، يضمها تحت لوائه، وقال إن

٥- أسباب تشكيل جيش الإسلام في سوريا وأهدافه كما يؤكدتها قائده، <http://hournews.net/news>، ١ تشرين أول ٢٠١٣.

٦- قائد جيش الإسلام في سوريا: «جبهة النصرة» إخواننا.. ولسنا تابعين لأي دولة، الإسلاميون : <http://islamion.com/news>، ٢٢ أيلول ٢٠١٣.

٧- تشكيل «جيش الإسلام» بقيادة الشيخ زهران علوش، <http://www.enabbaladi.org>، ٩ تشرين أول ٢٠١٣.

«قيادات رفيعة من الدولة الإسلامية في العراق والشام، وجبهة النصرة لأهل الشام وأحرار الشام بحثت، خلال اجتماعاتها التي عقدت خلال الأيام الثلاثة الماضية في محافظة حلب شمال سوريا، تشكيل جيش واحد وقيادة موحدة وراية واحدة، تضم هذه الكتائب تحت لوائها»، وأوضح أنّ «النية تتجه فعلاً لتشكيل الجيش الموحد»، مشيراً إلى أنّ «علماء هذه التنظيمات وآخرين مستقلين ناشدوا الأمراء للعمل على ذلك».

وأضافت النهار أنّ قيادات رفيعة من الجماعات الثلاثة المذكورة «تباحثت على مدى يومين» في مدينة حلب شمال سوريا»، و«اتفقت على وضع النظام السوري على رأس أولوياتها، وعلى منع رفع السلاح في وجه أي مسلم في سوريا، كما اتفقت على عدم النزاع في ما بينها، ومحاسبة المخطفين، وشكلت «مجلساً قضائياً مشتركاً لمحاسبة المخطفين»^(٨).

ويبدو أنّ تلك المحادثات بين الأطراف الثلاثة قد جاءت استجابة لنداء زعيم القاعدة أيمن الظواهري في تسجيل صوتي، وجهه قبل أيام من إجرائها، وناشد فيه ما أسماه المنظمات «الجهادية» في سوريا إلى نبذ الخلافات وعدم التقاتل فيما بينها، وحثّها «على الترفع عن الولاء للتنظيمات والأحزاب والتوحد خلف هدف إقامة دولة إسلامية»، ودعاها «إلى تجنّب عقد صفقات مع الغرب والجماعات العلمانية».

وليس خافياً أنّ نداء الظواهري حصل في الوقت الذي كانت حدة الاشتباكات تفاقمت بين المنظمات الجهادية في سوريا، لا سيما بين جماعة «دولة الاسلام في العراق والشام» (داعش) و«جبهة النصرة»، وبروز «جيش الإسلام» كقوة إسلامية مناهضة للطرفين^(٩). وقال، الظواهري، في تسجيل صوتي بث على شبكة الإنترنت، إنّ «الأمريكان والروس والإيرانيين وحزب الله ينسّقون حربهم ضدنا، فهل عجزنا أن نوقف القتال بيننا حتى نوجه جهدنا كلّ ضدّهم»^(١٠).

البنية التنظيمية

في أيلول ٢٠١٣ انضمت إلى «جيش الإسلام»، بعد تأسيسه، كتائب جديدة، ليتجاوز عدد تشكيلاته ٦٠ كتيبة، تتوزع على اختصاصات عسكرية مختلفة^(١١). وتنشط هذه الألوية والكتائب والفصائل في مناطق، منها دمشق وريفها ومحافظة حمص واللاذقية وحماة وإدلب وحلب ودير الزور^(١٢).

٨- النهار نقلاً عن رويترز، «الظواهري يحض الجهاديين في سوريا على التوحد و«جيش الاسلام» يؤكد انضمام عشرات المقاتلين الاجانب اليه، ١٣ تشرين الأول ٢٠١٣، <http://newspaper.annahar.com>.

٩- الظواهري يحض الجهاديين في سوريا على التوحد و«جيش الاسلام» يؤكد انضمام عشرات المقاتلين الأجانب اليه، المرجع السابق نفسه.

١٠- الظواهري يحث الجماعات «الجهادية» في سوريا على الوحدة ضد روسيا، روزنة <http://rozana.fm/ar>، ٢ كانون الثاني ٢٠١٥.

١١- الألوية المنضوية تحت جيش الإسلام: ١- لواء الإسلام ٢- لواء جيش المسلمين ٣- لواء سيف الحق ٤- لواء نسور الشام ٥- لواء بشائر النصر ٦- لواء فتح الشام ٧- لواء درع الغوطة ٨- كتائب الصديق ٩- لواء توحيد الإسلام ١٠- كتائب جنوب العاصمة ١١- لواء بدر ١٢- لواء عمر بن عبد العزيز ١٣- لواء جند التوحيد ١٤- لواء سيف الإسلام ١٥- لواء عمر بن الخطاب ١٦- لواء معاذ بن جبل ١٧- لواء الفاروق ١٨- لواء الزبير بن العوام ١٩- لواء ذي النورين ٢٠- لواء الأنصار ٢١- لواء حمزة ٢٢- لواء الدفاع الجوي ٢٣- لواء المدفعية والصواريخ ٢٤- لواء المدرعات ٢٥- لواء الإشارة ٢٦- لواء الظاهر ببيرس ٢٧- لواء سيف الحق ٢٨- لواء مغاوير القلمون ٢٩- لواء عباد الرحمن ٣٠- لواء المرابطين ٣١- لواء البادية ٣٢- لواء أنصار السنة ٣٣- لواء أهل البيت ٣٤- لواء شهداء الأتارب ٣٥- لواء جبهة الساحل ٣٦- لواء عين جالوت ٣٧- كتائب أنصار التوحيد ٣٨- كتائب المجاهدين ٣٩- كتائب صقور أبي دجانة ٤٠- كتائب السنة ٤١- كتائب الأنصار ٤٢- كتائب البراء بن عازب ٤٣- كتائب نور الغوطة ٤٤- كتائب شباب الإسلام ٤٥- كتيبة طلحة بن عبيد الله ٤٦- كتيبة الاستشهاديين ٤٧- كتيبة علي بن أبي طالب ٤٨- كتيبة رايات الحق ٤٩- كتيبة درع الإسلام ٥٠- كتيبة العشاير.

١٢- جيش الإسلام تنظيم يضم ٥٠ تنظيمًا ارهابيًا... شبكة نهريين نت الإخبارية <http://nahrainnet.net>.

وفي هذا السياق، أوضح رئيس أركان «جيش الإسلام» علي عبد الباقي «نحن لدينا هيكلية للجيش الجديد، وآلية عمل وشروط خاصة للانتساب، ونحن نتعاون مع الجميع لبناء سوريا الجديدة، وإسقاط نظام الأسد»^(١٣).

والهيكل الإداري لتنظيم «جيش الإسلام» يضم مجلس قيادة و٦٤ كتيبة عسكرية، إضافة إلى ٢٧ مكتباً إدارياً، لا علاقة مباشرة لها بالعمل العسكري. ومن أبرز هذه المكاتب مكتب «تأمين المنشقين» الذي يهتم بالتواصل مع الجنود النظاميين وتأمين انشقاقهم، إضافة إلى مكاتب للخدمات والتصنيع السلاحى والنقل والإعلام. وتخرج القرارات العسكرية المتعلقة بعمليات «جيش الإسلام» بالتشاور بين مجلس الشورى، الذي يضم مختصين بالشريعة، وقياديين عسكريين وغرفة العمليات التي كان يرأسها زهران علوش (أبو عبد الله) قائد «لواء الإسلام» سابقاً.

وقام «جيش الإسلام» بتأسيس عدّة مؤسسات أمنية، تعتبر بمثابة الشرطة، تمارس صلاحيات أمنية... واستعان بخبرات بعض الضباط المنشقين ممن درسوا في المجالين الجنائي والأمني^(١٤).

ويعتبر «جيش الإسلام» الفصيل الأقوى والأكبر في الغوطة الشرقية لدمشق، مع تواجد لألويته وكتائبه في مناطق أخرى، إضافة إلى دمشق وريفها، كحمص واللاذقية وحماة وإدلب وحلب ودير الزور. وللتعبير عن قوته قام «جيش الإسلام» في نهاية نيسان ٢٠١٥ بعرض عسكري كبير، وقد حاول مراراً السيطرة على الفصائل الصغيرة التي تعمل في الغوطة، حيث اعتقل قائد ما يسمى «جيش الأمة» أحمد طه وعدداً كبيراً من عناصره وحل التنظيم، كما اعتقل قائد «لواء شهداء دوما»^(١٥).

وشارك «جيش الإسلام» في معارك عديدة ضدّ الجيش السوري في مختلف المدن السورية، أهمّها السيطرة على مساحات واسعة من الغوطة الشرقية، ومعركة المليحة، ومعارك جوبر، وتمكن، بالتعاون مع جبهة النصرة، من السيطرة على مدينة عدرا العمالية، كما تمكن من السيطرة على تلال مهمّة، تطلّ على أوتستراد حمص دمشق عند مدينة حرستا^(١٦)، وتبنّى التنظيم قصف العاصمة دمشق، ومنها قصف مبنى السفارة الروسية لأكثر من مرّة.

التمويل والسلاح

يلزم «جيش الإسلام» الصمت حيال مصادر تمويله ودعمه العسكري واللوجستي الأساسية، والتركيز على المغام التي توفرها المخازن التي يخلفها الجيش السوري وما يقدّمه له التجار والمؤيدون له من أبناء الشعب السوري في الخارج، في محاولة لإضفاء مشروعية شعبية واسعة، وينفي وجود مصادر خارجية، والتشديد على أنّ العمليات العسكرية ضدّ قوات النظام أكبر مصدر لتزويد قواته بالعتاد، خصوصاً بعد السيطرة على مواقع مهمّة، مثل فوج الشيفونية ومستودعات دنحة في القلمون، غير أنّه لم يستطع إخفاء ارتباطه وتواصله مع دول خارجية، وتنافس صراعه مع قوى أخرى، في مقدّمها معارضة الخارج، للحصول على دعم وتمويل مماثل؛ ففي ٢١ أيلول ٢٠١٣ وزّع «جيش الإسلام» على موقع «يوتيوب» مقابلة مطوّلة مع زهران علوش، وفي ردّه على سؤال: «هل هناك دول تتبنّى دعم هذا الجيش، خصوصاً في ظلّ الأسلحة الحديثة التي يستخدمها، أجاب: الحقيقة أنّ الأسلحة التي عند «جيش الإسلام» تنقسم قسمين: الأول الغنائم، وهذه نسبتها ٩٠ في المئة من أسلحة جيش الإسلام، وهذا السلاح الأقوى

١٣- أسباب تشكيل جيش الإسلام في سوريا وأهدافه كما يؤكدها قائده، <http://hournews.net/news>، ١٠-١-٢٠١٣.

١٤- جيش الإسلام "تنظيم يضم ٥٠ تنظيمًا إرهابيًا... مرجع سابق.

١٥- أنظر: الماسة السورية، ١٣ تشرين أول ٢٠١٣.

١٦- الشرق الأوسط، من هو زهران علوش قائد جيش الإسلام في سوريا؟، ٢٥ كانون أول ٢٠١٥.

(لدى جيشه). أما بقية الأسلحة، وهي ١٠ في المئة، فيشتريها المجاهدون من السوق السوداء... أما ما يُشاع عن أنّ دولة من الدول تتبنّا، فهذا محض كذب وافتراء. نعم، لدينا أسلحة ثقيلة، لكن هل هناك أيّ دولة يمكن أن تدعم بدبّابات؟». وبعدها كرّر أنّ «جيش الإسلام» لا تتبناه أيّ دولة أو جهة، قال: «نحن نتبع كتاب الله، ونتلقّى دعماً من أفراد متبرّعين من داخل البلاد وخارجها». لكنّه قال إنّ لا يرى ضيراً من الحصول على مساعدات إذا كانت تساعد في مقاتلة النّظام، وإذا كانت هذه المساعدات غير مشروطة. وتحدّث بالتفصيل عن قضية الدّعم الذي حصل عليه «جيش الإسلام» من متبرّعين في الكويت، فقال: «شكّلنا غرفة عمليات لدمشق وريفها من لواء الإسلام قبل أن يصير «جيش الإسلام» ولواء جيش المسلمين وألوية وكتائب المصطفى وألوية الفرقان وأحرار الشام، وتعهّد مجلس الداعمين في الكويت بدعم الغرفة». وتابع أنّه انسحب من هذه الغرفة ثلاثة أطراف، هي أحرار الشام وكتائب المصطفى وألوية الفرقان... وأوضح أنّ الدعم للغرفة من مجلس الداعمين بلغ ٤٧٠ ألف دولار، صُرف منها ١٠٠ ألف لمنطقة القابون و ٧٠ ألفاً لتجهيز الغرفة و«بقي ٣٠٠ ألف وُزعت على الفصائل الستة، أي ٥٠ ألفاً لكل فصيلة، وهذا (مبلغ ٥٠ ألفاً) لا يكفي «جيش الإسلام» سوى ١٠ ساعات»^(١٧).

وفي اعتراف غير مباشر بالدعم الخارجي، فقد اتّهم النقيب حكيم هلال - وهو نائب قائد لواء بجيش الإسلام - «معارضة الخارج» بتهميش وإقصاء الكتائب العسكريّة العاملة على الأرض المحرّرة، قائلاً إنّها لا تساوي بين الفصائل في توزيع السلاح»^(١٨).

زهرا ن علوش القائد والمؤسس

فور خروج علوش في العام ٢٠١١ من السجن عمل على تأسيس قوّة عسكريّة لمحاربة النّظام، أطلق عليها اسم «سريّة الاسلام»، ومع ازدياد عديده البشري أنشأ ما يسمى «لواء الاسلام» قبل أن يعلن في العام ٢٠١٣ عن تشكيل «جيش الإسلام»، بمشاركة العديد من الفصائل والألوية المحسوبة سابقاً على الجيش الحر، يحملون فكراً سلفياً، لا يقلّ تشدّداً عن توجّهات الفصائل الأكثر تطرّفاً في سوريا، ك«داعش» و«النصرة» و«أحرار الشام» وغيرهم.

في الأصل، حمل علوش الفكر السلفي «القتالي» المتشدّد، وعارض في خطابه مبدأ «الديمقراطيّة» والدولة المدنيّة، ودعا إلى إقامة دولة «الخلافة الإسلاميّة»، في أماكن سيطرته، التي هي في رأيه دولة الخلافة الأمويّة، وليس الخلافة الراشديّة، وجاهر بتكفير الشيعة والعلويّين، وأكّد وقوفه مع الدولة التركيّة ضدّ الأكراد.

وتوفّر خطب زهران علوش المنشورة عبر مقاطع فيديو الكثير من المعلومات عن أرائه ومواقفه تجاه الفئات الدينيّة الأخرى في سوريا، ورويته للمستقبل فيها. وتكاد تنعدم الفروقات الفكرية المتشدّدة التي يحملها عن أفكار «داعش» والقاعدة مثلاً، المصنّفين أكثر الفصائل تشدّداً، رغم العداوة العميقة التي يكتنّها لهما، وخصوصاً «داعش». ولعل أهم مقاطع الفيديو تلك التي تحمل عنوان: «كلمة الشيخ المجاهد زهران علوش للأمة وتحديده للرافضة».

في الفيديو المذكور، يستخدم علوش قصر الصحراء للخليفة الأموي هشام بن عبد الملك كخلفيّة، ويتضمّن مقاطع دعائيّة على شكل خطبة عصماء ضدّ الشيعة «وعودة الخلافة الأمويّة»، تكشف بصورة جليّة على مدى المحتوى الفكري المتشدّد لعلوش، والنزعة العدائيّة نحو طوائف دينية معيّنة، وتحديد الشيعية الذين ينسبهم إلى «النصيريّة»

١٧- أنظر: قائد جيش الإسلام في سوريا: «جبهة النصر» إخواننا... ولنا تابعين لأيّ دولة، الإسلاميون مرجع سابق.

١٨- براء عبد الرحمن، جيش الإسلام.. قوات سورية تعارض «الانتلاف» و«الأركان»، <http://www.aljazeera.net/news>، ٦ تشرين أول ٢٠١٣.

ويصفهم بـ«المجوس»، ويعبر عنهم بـ«الشيعة الأنجاس»، ويتهمهم بالكفر وتحريف الدين والقرآن، وتغيير السنّة، والطعن بعرض النبي (ص)، ويبيّن علوش على ذلك، ويدعو «لتخليص دمشق والشام من شرورهم، مستخدماً طوال الوقت لغة القرآن ليؤكد انحرافهم»^(١٩).

ويستخدم علوش مصطلح «مجوس»، في محاولة لإضفاء صبغة «الكفر» ضدّ من توجّه إليه الصّفة، بغية إعطاء العداوة والحرب التي يخوضها ضدّ النّظام في سوريا والأقلّيّة الدينيّة التي ينتمي إليها الرئيس السوري بشار الأسد وحلفائه (الشيعة) بعداً دينياً، وبالتالي، من أجل اللعب على الأوتار الطائفيّة والمذهبيّة وتحريك التّزعات العصبيّة لدى أبناء السنّة في سوريا والعالم، وحشد المزيد من المقاتلين، ولا يختلف خطاب علوش في ذلك عن سواه من قادة الفصائل السلفيّة المتطرّفة الأخرى.

وفي الوقت الذي يكثر أنصار زهران علوش من الإشادة بدوره وموقعه في قيادة المواجهة مع النّظام وإنشاء بنية تنظيمية قويّة و متماسكة، ويلقبونه بـ«أسد الغوطة»، ثمّة وجهة نظر أخرى في هذا السياق، يعبر عنها معارضو علوش. فبحسب الباحث في الشؤون السورية آرون لاند^(٢٠)، إنّ «الأساليب التي استخدمها علوش لتحقيق الاستقرار في الغوطة الشرقيّة ليست سليمة؛ ذلك أنه حشأ الإدارة المحليّة بالمحسوبيّات وبأفراد من عائلته لضمان عدم تهديد قبضته على السلطة، وأنهم يبيع المساعدات والمواد الغذائيّة بأسعار باهظة وبقممع معارضيّه بوسائل وحشيّة، منها التعذيب والاعتقال؛ لذلك لم يكن بطلاً في نظر خصومه، وإنما انتهازي، متعطّش إلى السلطة، وزعيم حرب، وديكتاتور، مصمّم على الاستيلاء على القصر الرئاسي لنفسه. حتى أنّ ثمّة من شبّه أساليبه في الحكم بتلك التي يعتمدها الرئيس بشار الأسد»^(٢١).

ارتكابات علوش

اتّهم علوش بملفّات، تدرج في إطار «جرائم ضدّ الإنسانيّة»، و«الاعتداء على الكرامة الشخصيّة» و«استخدام الدروع البشريّة»، أبرزها ما عرف بملف «عدرا العماليّة»، وملف احتجاج الرهائن في أفقاص حديديّة، كدروع بشريّة، في منطقة دوما الخاضعة لسيطرة جيشه.

ففي كانون الأول ٢٠١٣ أقدم جيشه وتشكيلات أخرى كـ«أجناد الشام» و«أحرار الشام» و«جبهة النصرة» على اختطاف مئات المدنيّين، معظمهم من العلويّين، قرب منطقة عدرا العماليّة، وتمّ واحتجازهم، وأغلبهم من النساء والأطفال، في أماكن مجهولة في الغوطة الشرقيّة.

١٩- جوشوا لاندس، زهران علوش: فكره ومعتقداته، ١٥ كانون أول ٢٠١٣، نقلاً عن أخبار سوريا، ٢٦ كانون أول ٢٠١٥. ومما نقل عنه في هذا الصدد قوله في إحدى تغريداته "يقول سيغسل مجاهدي (هكذا في الأصل والصحيح: مجاهدو) الشام رجس الراضة والرافضية من الشام، سيغسلوه إلى الأبد إن شاء الله، حتى يطهروا ربوع بلاد الشام من رجس المجوس الذين حاربوا دين الله تبارك وتعالى". ويقول أيضاً "واني أبشركم أيها الراضة الأنجاس أنه كما حطمت بني أمية رؤسكم سابقاً، سيحكم أهل الغوطة وأهل الشام رؤسكم لاحقاً. سيزيقونكم سوء العذاب في الدنيا قبل أن يزيقكم الله سوء العذاب يوم القيامة. أيها الراضة الأنجاس، ستلقون ما يسوء وجوهكم في الدنيا، وما يضركم في الدنيا ويخزيكم يوم القيامة إن شاء الله. هم حتى يذيقوكم سوء العذاب. أيها الراضة الأنجاس، ستلقون ما يسوء وجوهكم في الدنيا، وما يضركم في الدنيا ويخزيكم يوم القيامة إن شاء الله. هم لا يريدون دولة على غرار بني أمية، لأنّ دولة بني أمية أذهبت مجدهم المجوسي الغابر، لأنّ دولة بني أمية حطمت رؤوسهم، لأنّ دولة بني أمية أقامت الحق والعدل والتوحيد. نعم، نحن نفتخر بدولة بني أمية التي كانت عاصمتها دمشق. ألا فهبوا أيها المجاهدون لنصرة إخوانكم، ألا فهبوا لنصرة إخوانكم، إننا في ديار الإسلام نستقبل المجاهدين من كافة أنحاء العالم ليكونوا عوناً لنا ونصرة لنا، ليقاتلوا معنا صفّاً واحداً في صف السنة، سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي ترفعون راية التوحيد عالياً حتى يكون الذل والدمار على المجوس أعداء الله. وحتى نطهر الشام من رجسهم وأدناسهم. ألا فهبوا إلى نصرة إخوانكم أيها المؤمنون، ألا فهبوا إلى نصرة إخوانكم أيها المؤمنون، فالجنة الجنة تنتظركم، والله تبارك وتعالى معكم ...

٢٠- "آرون لاند" باحث في معهد كارنيغي للدراسات. قام بكتابة أهم عشرة أحداث جرت في عام ٢٠١٥ في سوريا.

٢١- مونا ليزا فريجة، "جيش الإسلام" يواجه تحدّي البقاء بعد "قطع رأسه" تساؤلات عن مصير غوطة دمشق ومحادثات جنيف، النهار، ٢٩ كانون الأول ٢٠١٥.

وفي الأول من تشرين الثاني ٢٠١٥ أقدم ما سمي بـ«ثوار الغوطة» باحتجاز أشخاص في أقفاص معدنية في أنحاء مختلفة من الغوطة الشرقية وتعريضهم للخطر، من ضمنهم نساء وأسرى من الجيش السوري، بذريعة ردع الهجمات الحكومية العشوائية على المنطقة. ونقلت وكالة «سمارت» عن مصدر في المكتب السياسي «لجيش الإسلام» أنهم نشروا ١٠٠ قفص في مدينة دوما بريف دمشق، وضعوا داخلها بعض الأسرى لديهم من الضباط العلويين وزوجاتهم، وذلك رداً على مجازر قوات النظام بحق المدنيين هناك، وأضاف المصدر أن الأقفاص توزعت في الأماكن العامة والأسواق، التي استهدفتها طائرات حربية روسية وأخرى تابعة لقوات النظام، لليوم الثاني على التوالي، حيث وضع الأسرى كدروع بشرية، حسب تعبيره^(٢٢).

وعلقت منظمة هيومن رايتس ووتش واعتبرت «هذه الممارسات اختطاف رهائن واعتداءً صارخاً على كرامتهم الشخصية، وهما جريمتا حرب»^(٢٣).

وارتكب علوش العديد من الانتهاكات والاعتداءات الأخرى بحق عناصر الجيش السوري والأقليات الدينية، كالعلويين والشيعية والمسيحيين والكرد، وعمل على قمع المعارضين لتوجهاته، وحُمل مسؤولية اختطاف ناشطين، منهم الناشطة الحقوقية «رزان زيتونة»^(٢٤) ورفاقها وإخفاء مصيرهم، ومحاصرة بعض المدن والمناطق في الغوطة الشرقية^(٢٥)، وبالاشتراك أحياناً مع فصائل أخرى تابعة لجبهة النصرة وأحرار الشام، كما في حصار منطقتي عفرين والشيخ مقصود في حلب ذات الغالبية الكردية، وقصف المدنيين عشوائياً بالمدافع والصواريخ وأسطوانات الغاز فيهما وفي مدن وقرى أخرى، كمدينة دمشق ومحيطها.

هذا، مضافاً إلى لجوء جيش الإسلام إلى ارتكاب عمليات إعدام بحق أفراد من «داعش»، كعامله بالمثل. ووفق السيناريو «الداعشي»، نشر «جيش الإسلام» في الأول من حزيران ٢٠١٥ شريط فيديو، عبر حسابه على تويتر، يتبنى فيه إعدام ثمانية عشر عنصراً من تنظيم داعش، رداً على إقدام داعش على قتل عناصر منه. وكان داعش نشر قبل أيام من ذلك شريطاً مصوراً يظهر إقدام عناصر منه على إعدام اثني عشر عنصراً من فصائل، قاتلت ضده، عبر قطع رؤوسهم، قائلاً: «إنهم أسروا خلال معارك في الغوطة الشرقية في ريف دمشق، وبينهم عناصر من «جيش الإسلام». واعتمد الشريط

٢٢- أنظر: «جيش الإسلام» لـ«سمارت»: كبار الضباط العلويين داخل ١٠٠ قفص في دوما بريف دمشق، ١ تشرين الثاني، ٢٠١٥.

٢٣- هيومن رايتس، جماعات مسلحة تضع رهائن في أقفاص لردع الهجمات: على مؤيدي الأطراف المتحاربة الدوليين إعطاء الأولوية لحماية المدنيين، <https://www.hrw.org/ar/news>، نوفمبر ٢، ٢٠١٥. يُظهر شريط فيديو نُشرته «شبكة شام الإخبارية»، إحدى القنوات المعارضة، في ١ نوفمبر/ تشرين الأول ٢٠١٥، شاحنات تنقل أقفاصاً، يحتوي كل واحد منها على أشخاص، يتراوح عددهم بين ٤ و٨ رجال أو نساء.

يقول النص المرافق: «قام الثوار في الغوطة منذ أمس بنشر ١٠٠ قفص، في كل قفص حوالي ٧ أشخاص، والخطة ماضية لتصنيع ١٠٠٠ قفص ونشرها في الغوطة الشرقية وفق ما أشارت إليه مصادر ميدانية. تحوي الأقفاص التي تم نشرها على بعض الأسرى من الضباط العلويين وزوجاتهم. وُزعت على عدة مناطق في مدينة دوما، وخصوصاً في الأماكن العامة والأسواق التي دأب النظام والطيران الروسي على قصفها في السابق». تضمن الفيديو أيضاً لقطات لمقابلات مع عقيد ركن وامرأتين علويتين محتجزين في الأقفاص المعدنية.

٢٤- رزان زيتونة مولودة عام ١٩٧٧، ناشطة حقوقية وكاتبة من سوريا. حاصلة على جائزة آنا بوليتكوفسكايا للمدافعات عن حقوق الإنسان، وعلى جائزة ساخاروف الممنوحة من البرلمان الأوروبي بالاشتراك مع رسام الكاريكاتير السوري علي فرزات. تخرجت في كلية الحقوق بدمشق عام ١٩٩٩ بدأت عملها في عام ٢٠٠١ كمحامية تحت التدريب. كانت عضواً في فريق الدفاع عن المعتقلين السياسيين ومعتقلي الرأي منذ ذلك الوقت، كما كانت عضواً مؤسساً في جمعية حقوق الإنسان في سوريا حتى عام ٢٠٠٤. وفي العام ٢٠٠٥ أسست رابطة معلومات حقوق الإنسان في سوريا. نشرت عشرات المقالات والتقارير في مختلف المواقع الإلكترونية والصحف حول أوضاع حقوق الإنسان في سوريا وحرية الرأي والتعبير. اختطفت وزوجها وائل حمادة وفريق عملها في مدينة «دوما» في تمام الحادية عشرة ليلاً (سميرة خليل، وناظم حمادي).

٢٥- جبهة النصرة، بيان توضيحي، الثلاثاء ١٤-٧-٢٠١٥. أنظر: «جبهة النصرة تتهم جيش الإسلام بمحاصرة قرى في الغوطة الشرقية وتعقب على بيانها»، موقع آخر أخبار سوريا <http://all.syria.info>.

الذي أعدّه «جيش الإسلام» تقنيّات تصويريّة ومؤثّرات صوتيّة وموسيقىّة شبيهة بتلك التي يستخدمها تنظيم «الدولة الإسلاميّة» (داعش) في أشراطه الترويجيّة، كما اعتمد اللهجة الدينيّة والتعبير نفسها التي يستخدمها داعش. وظهر في الشريط ثمانية عشر رجلاً باللباس الأسود، مقنعي الوجوه وموثوقين بقيود وكرات حديديّة ثقيلة في أقدامهم، مع سلاسل حديديّة ضخمة في أيديهم وأعناقهم، وهم يسرون إلى جانب عناصر من «جيش الإسلام»، ارتدوا اللباس البرتقالي، وهو لباس سجناء غوانتانامو الذي يلبسه تنظيم «الدولة الإسلاميّة» لضحاياه قبل إعدامهم. وتضمّن الشريط صوراً مروّعة، التقطت من زوايا عدّة لعمليّات إطلاق النار، مع تدفّق الدماء من الرؤوس وانتشار بقع الدم على الأرض^(٢٦). وذكر أحد مطلقي النار قبل الإعدام أنّ العمليّة تنفيذ لقرار «القيادة العسكريّة في جيش الإسلام بالحكم بالإعدام على شرذمة من هؤلاء المارقة»، مؤكّداً على «المعاملة بالمثل»، على حدّ قوله^(٢٧).

ازدواجيّة خطاب جيش الإسلام

عُرف عن قادة «جيش الإسلام»، وفي مقدّمهم زهران علوش، مواقفهم المزدوجة، وإظهار موقف وإضمار ما ينافيه^(٢٨)؛ فزهران علوش، على مدى سنوات تزعمه لـ«جيش الإسلام»، أطلق مواقف، لخصت رؤية تنظيمه السياسيّة وتوجّهاته العامّة، الفكريّة والأيدولوجيّة المتشدّدة، إلّا أنّه أرفقها بمواقف موازية، تنافي في مضمونها التوجّهات ذات الطابع المتشدّد، أبرزها:

١. رفض الحوار مع النّظام في سوريا، تحت أيّ ظرف، باعتبار أنّ ذلك «مشاركة في الجريمة».
٢. المناادة بدولة الخلافة الإسلاميّة، ورفض مبدأ الديمقراطيّة والدولة المدنيّة، ووضع الديمقراطيّة تحت قدميه. بينما نجد أنّه أحد الموقعين على اتفاقية مؤتمر الرياض للمعارضة السورية التي تمّ الإعلان فيها على السعي لإقامة دولة مدنيّة ديمقراطيّة، وهو أيضاً أحد الفصائل الـ ٧١ الموقّعة على البيان المشترك حول مبادرة المبعوث الأممي ستيفان دي ميستورا فيما يخصّ مبادرة «مجموعات العمل»، والتزموا فيه العمل من أجل حلّ سياسي في سوريا، بشروط^(٢٩). وأكثر من ذلك، فإنّ زهران علوش يعلن في أوّل مقابلة له مع الصحافة الأميركيّة مع صحيفة مكلايتشي ٢٠ آذار ٢٠١٥ أنّه يريد إنشاء دولة تحترم الحقوق، والشعب هو الذي يختار نوع الدولة التي يريدّها، مشيراً إلى تفضيله «حكومة تكنوقراط محترفة»، وقال «إنّ تصريحاته الأصليّة التي اعتبر فيها أنّ الديمقراطيّة أصل الفساد، كانت بسبب الضغط الذي كان يخضع له في الغوطة بعد مقتل المئات بالغاز السام»، فيما نقلت الصحيفة نفسها عن الناطق باسم «جيش الإسلام» إسلام علوش «إنّ الخطابات التي ألقاها علوش في الغوطة كانت للجمهور الداخلي لحشد المقاتلين ضدّ تنظيم القاعدة»، كما نقلت الصحيفة، أيضاً، عن آخرين أنّ الأمر قد يكون ببساطة أنّ قادة التمرّد المتطرّف أدركت أنّها يجب تغيير لهجتهم للجمهور الغربي الذي صدم بهذا النوع من الخطاب المتشدّد الذي يدين فيه علوش الديمقراطيّة في كانون أول ٢٠١٤ وأنّها «ديكتاتوريّة قويّة»^(٣٠).

٢٦- بأسلوب «داعش ستايل».. جيش الإسلام يُعدم ١٨ مسلحاً، وكالات، ١ حزيران / يوليو، ٢٠١٥.

٢٧- بالصور: «داعش» يذبح أحد قادة «علوش» في القلمون، <http://www.alhadathnews.net/>، ١٦ أيار / يونيو ٢٠١٥.

٢٨- يصف قائد «جيش تحرير الشام» النقيب فراس البيطار فراس قيادات جيش الإسلام بأنهم «يظهرون شيئاً ويضمرون شيئاً آخر». أنظر: عمر بهاء الدين، زعيم الغوطة الشرقية قتيلاً، ٢٦/١٢/٢٠١٥، <http://www.almodon.com/arabworld>.

٢٩- أنظر: <http://www.dw.com/ar/>، ٢ شباط ٢٠١٦.

٣٠- <http://www.mcclatchydc.com/news/>، ٢٠ آذار ٢٠١٥.

٣. عدم الاعتراف بالأديان الأخرى^(٣١)، ووصف العلويين والشيعة بـ«النصيرية» و«المجوس»، واتّهامهم بـ«الكفار» و«الأرجاس»، والدعوة إلى «التخلّص من شرّهم» في سوريا، لكنّه في مخاطبته للغرب ينفي السعي لفرض قوته على الأقليّات، ويؤكد أنّ التعايش مع الأقليّات كان حاصلًا في سوريا منذ مئات السنين، وأنّه لا يسعى لفرض سلطته عليهم، ويرفض قمعهم^(٣٢).

٤. عدم الاعتراف بالمعارضة السورية الخارجيّة، لأنّ قادتها منفصلون عن الواقع الداخلي السوري، وبينون سياستهم بناء على تصوّرات واتفّاقات، وربما على أيديولوجيّات، ولا ينطلقون من الداخل في كثير من الأحيان، وهذا، خلافاً لما آلت إليه الأمور من توقيعه على اتفاقية مؤتمر الرياض للمعارضة السورية التي تعدّ اعترافاً بالمعارضة الخارجيّة، والعمل ضمن الهيئة العليا للمفاوضات السورية التي توصلت خلال مؤتمر الرياض الذي عقد في العاشر من شهر كانون أول ٢٠١٥ إلى اتفاق على تشكيل هيئة عليا من ٣٢ عضواً، بينهم تسعة من الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية و ١٠ من الفصائل المسلّحة وخمسة من هيئة التنسيق الوطني وثمانية أعضاء مستقلّين، واعتبار المسؤول السياسي لجيش الإسلام محمد علوش ممثلاً لوفد الحوار.

٥. اتّهام أميركا بالعمل ضدّ المعارضة السورية وأنّها في مصاف الرئيس الأسد روسيا وإيران وحلفائها، غير أنّه حرص على خطب ودّ الأميركيين، واعترف بـ«اتصال معهم عدّة مرات»، والرضوخ لطلبهم بموجب رسالة من إدارة أوباما في شباط ٢٠١٥ طلب إليه فيها وقف قصف المنشآت الأمنيّة في العاصمة دمشق ومهاجمة المدنيّين^(٣٣).

٦. رفض التحارب مع القوى الإسلاميّة المعارضة للنظام، فيما خاض العديد من النّزاعات والمعارك المسلّحة مع العديد من تلك الفصائل، والقضاء على بعضها، واعتقال قادتها وعناصرها.

٧. التحالف مع «جبهة النصرة» ومدحها، وإعلان اللامبالاة بتهمة ارتباط النصرة بتنظيم القاعدة، رغم تصنيف أميركا لها بالإرهاب، لكنّه لاحقاً يقوم بمهاجمتها والتقاتل معها، واتّهامها بأنّ مشكلتها تكمن في الارتباط بالقاعدة، وأنّ «الفرصة ما زالت متاحة لفك الارتباط، وألا يحتملوا الشعب السوري ما لا يطيق، ولا يستطيع السوريون تحمّل تركة القاعدة من الصراع الطويل مع الدول، يكفي الشعب السوري إجرام النّظام وحلفائه»^(٣٤).

٨. ارتكاب الأعمال والتنصّل منها، كقصف دمشق والمديّين، ومحاصرة مدن أخرى، كعفرين والشيخ مقصود، وخطف مديّين وإخفاء مصيرهم، كمخطوفي عذرا العماليّة، ووضع الرهائن في أقفاص معدنيّة، وإخفاء الناشطة الحقوقية رزان زيتونة.

الجبهة الإسلاميّة

في ٢٣ أيلول ٢٠١٣ أعلنت سبعة فصائل مسلّحة سلفيّة أساسيّة تقاتل في سوريا ضدّ النّظام السوري اندماجها

٣١- أنظر خطاب زهران علوش في ١٣ كانون أول ٢٠١٤ في خطبة الجماعة داخل مسجد في مدينة دوما الذي يقول فيه أن الإسلام فقط هو على حق وباقي الأديان هي باطلة، يجب تصحيحها، وتهجّم على باقي المذاهب الإسلاميّة الذين اتهمهم بالكفر والارتداد وأوجب محاربتهم، وعن الديمقراطية قال إنه لم ير منها إلا الفساد والانحطاط والتراجع والانهيار في المسلمين، ودعا إلى إقامة الدولة الإسلاميّة.

٣٢- <http://www.mcclatchydc.com/news>، المرجع السابق.

٣٣- المرجع السابق نفسه.

٣٤- محمد علوش، جيش الإسلام: نحن وسطيون وعلماؤنا من الشام فقط، <http://vid.alarabiya.net>، ١١ كانون أول ٢٠١٥.

في إطار تشكيل موحد، أطلق عليه «الجبهة الإسلامية»، عدّ كأكبر تجمّع لقوى «إسلامية»، يهدف إلى إسقاط الرئيس السوري بشار الأسد وبناء دولة إسلامية في سوريا، وضمت الجبهة أكبر ثلاثة فصائل إسلامية محاربة في سوريا، وهي «لواء التوحيد»، أكبر قوة مقاتلة ضدّ النظام في محافظة حلب، و«حركة أحرار الشام»، و«جيش الإسلام» الذي يقاتل في منطقة دمشق خاصّة، بالإضافة إلى «ألوية صقور الشام» و«لواء الحق» و«كتائب أنصار الشام»، وهي فصائل كبيرة أيضاً، بالإضافة إلى «الجبهة الإسلامية الكردية».

وجاء في بيان إعلان الجبهة الذي نشر على صفحة للجبهة الجديدة فتحت على موقع فيسبوك على الإنترنت أنّ الجبهة «تكوين سياسي عسكري اجتماعي مستقل، يهدف إلى إسقاط النظام الأسد في سوريا إسقاطاً كاملاً، وبناء دولة إسلامية راشدة تكون فيها سيادة الله عزّ وجلّ وحده مرجعاً وحاكماً وناظماً لتصرّفات الفرد والمجتمع والدولة».

وجاء هذا الإعلان بعد سلسلة نجاحات حقّقها الجيش السوري النظامي على الأرض، خاصّة حول دمشق وحلب في الشمال. ولاحظ آرون لوند الخبير السويدي في شؤون الحرب السورية أنّ الجبهة الإسلامية تجمع بعض المجموعات الكبرى من الحركة الإسلامية إلى المعسكر الأكثر تشدّداً، لكنّها لا تضمّ أيّ فصائل من تنظيم القاعدة. فيما أشار إلى أنّ هذا التحالف يأتي ردّاً على التقدّم الذي أحرزته القوات النظامية حينها وموقف «الجهاديين» العدائي تجاه مجموعات أخرى معارضة، وقال: أعتقد أنّ هناك تدخلاً خارجياً أيضاً. وأوضح: كان هناك الكثير من الحديث كيف أنّ السعودية ودولاً خليجية تدفع في اتجاه توحيد صفوف المعارضة.

من جهته قال توماس بييريه^(٣٥) من جامعة إدنبره إنّها قوة عسكرية كبرى تفوق الخمسين ألف عنصر ستهيمن بشكل كبير على ساحة المعارضة. وأضاف: لكن إذا نجحت هذه الجبهة فسيكون من الحتمي أنّها ستدخل في خلاف مع الدولة الإسلامية في العراق والشام التي تعتبر التحالف الجديد موجّهاً ضدها.

كما يأتي الإعلان عن هذا الاندماج بعد مقتل عبد القادر صالح، قائد لواء التوحيد، المجموعة التي تضمّ نحو ثمانية آلاف مقاتل والمقرّبة من الإخوان المسلمين.

ومنذ اتجاه النزاع السوري إلى العسكرية بعد أشهر من بدء الأزمة في منتصف آذار ٢٠١١، أعلن عن تشكيل تحالفات وتجمّعات عسكرية عدّة ذات طابع إسلامي، ودعا بعضها إلى بناء دولة إسلامية. إلا أنّ هذا الاندماج بدأ الأقوى، لناحية المجموعات التي يتألّف منها، ولكونه سيحظى بقيادة عسكرية واحدة وسياسة واحدة، بحسب ما قال المتحدث باسم لواء التوحيد أبو فراس الذي أعلن أنّ الباب مفتوح أمام كل فصائل سوريا للانضمام إلى هذا الكيان الواحد. كما ذكر أنّه من المقرر أن يتمّ توحيد كل المؤسسات العسكرية والإعلامية والإغاثية والإدارية التي تشرف عليها هذه الفصائل ضمن فترة انتقالية، تستغرق ثلاثة أشهر بدءاً من تاريخ الإعلان ليتمّ الوصول إلى الاندماج الكامل.

وبحسب «أبو فراس» إنّ المسؤوليات داخل الجبهة الجديدة وزّعت على الشكل الآتي: أحمد عيسى الشيخ، قائد صقور الشام، رئيساً لمجلس الشورى، وأحمد عمر زيدان، المعروف باسم حجي حريتان من لواء التوحيد، نائباً للرئيس، وحسان عبود، قائد حركة أحرار الشام، رئيساً للهيئة السياسية، ومحمد زهران علوش، قائد جيش الإسلام، رئيساً للهيئة العسكرية، وأبو راتب الحمصي، قائد لواء الحق، أميناً عاماً للجبهة^(٣٦).

٣٥- باحث وأستاذ محاضر في الإسلام المعاصر في جامعة أدنبرة، وأصدر في العام ٢٠١٣ في العدد الرابع عشر من سلسلة «مرصد» الصادرة عن وحدة الدراسات المستقبلية في مكتبة الإسكندرية كتاب «التيار الإسلامي في سوريا: المصلحون السياسيون، العلماء والديمقراطية»، وله مشاركات ومحاضرات عدّة حول الإسلام المعاصر.

٣٦- مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية - لندن، تشكيل الجبهة الإسلامية، <http://www.asharqalarabi.org.uk>

انتهاء الجبهة الإسلامية

منذ البداية لم يكن للجبهة الإسلامية أيّ فعالية على أرض الواقع، ذلك أنّ المكونات الأساسية التي تشكّل منها حافظت على بناها التنظيمية المستقلة عن الجبهة، وبقيت أطراً منفصلة، تقيم تحالفاتها الخاصة، وتخوض صراعاتها، الظاهرة والخفية، مع جماعات أخرى، داخل الجبهة وخارجها، وظلّت الجماعات تعبّر عن نفسها، وتبرز هويّتها في مواقعها الخاصة وإنجازاتها وبياناتها وأنشطتها.

لكنّ حدث الإعلان عن الاندماج الذي تمّ بعد ثمانية أشهر فقط من تأسيس الجبهة في الثاني والعشرين من آذار ٢٠١٥ بين «ألوية صقور الشام» و«حركة أحرار الشام الإسلامية»، المنضويين في إطار الجبهة، كان «في الحقيقة أشبه بـ«تمدد»» للأخيرة. مركز الثقل الأساسي للكيان المدمج هو ريف إدلب، الذي يشكّل مسرح صراع خفي على النفوذ بين «أحرار الشام» و«جبهة النصرة»، وبالتالي، كان بمثابة محطة النهاية لقطار الجبهة.

واعتبر «اندماج المجموعتين بمثابة نعي رسمي لـ«الجبهة الإسلامية» التي صُدّرت إبان تشكيلها (تشرين الثاني ٢٠١٣) على أنّها «المكوّن الجامع»، وهو ما لم يُترجم على الأرض منذ التشكيل، ولم تُعد «الإسلامية» كونها تسمية إعلامية. «أحرار الشام» كانت قد ضمّت إلى صفوفها سابقاً «الجبهة الإسلامية الكردية» و«لواء الحق»، وهما أصغر مكوّنات «الجبهة الإسلامية» المفترضة. أمّا «لواء التوحيد» و«لواء أحرار سوريا» فتحولاً إلى اثنين من مكوّنات «الجبهة الشامية»، بينما بقي «جيش الإسلام» قائماً بذاته وعصياً على الشراكات الفعلية. وتجدر الإشارة إلى أنّ الأخير كان قد أعلن و«صقور الشام»، في آب [٢٠١٤]، «اندماجهما الكلي تحت مسمى «الجبهة الإسلامية»، على أن يتولّى القيادة زهران علوش، لكنّ الخطوة وقفت عند حدود الإعلان عنها، ولم تلقَ ترجمة فعلية على الأرض»^(٣٧).

اغتيال زهران علوش

اختصر زهران علوش «جيش الإسلام» بشخصه طوال فترة تزعمه له، لما تميّز به من وكاريزما شخصية قوية، جعلت منه رمزاً داخل تنظيمه، وأهله للإمسك بجيشه بقبضة من حديد. وفي هذا الصدد يقول عضو المكتب السياسي في التنظيم محمد بيرقدار في حديث لفرانس برس «ثمة رمزية للقائد، تجعل المقاتلين يتبعونه، وهذا امر غير موجود لدى الكثير من الفصائل»^(٣٨)؛ ولذا، أثار نبأ اغتياله في الخامس والعشرين من كانون أول ٢٠١٥ الكثير من التنبؤات حول مصير «جيش الإسلام»، وكأنّ اغتيال علوش اغتيال للجيش نفسه، قياساً للرابطة والرمزية التي تميّز بها داخل تنظيمه.

تولّى نعي علوش أحد قادة «جيش الإسلام» الملقّب بأبي قصي، وذلك في شريط تلفزيوني قصير، دون أن يسهب في شرح ظروف الاغتيال. وبرزت روايتان للاغتيال: «الرواية الأشهر التي تقول بأنّ الاغتيال تمّ بواسطة غارة روسية، استهدفت الاجتماع الذي كان يضمّ علوش وقادة وممثلي فصائل آخرين. وهذا الرأي هو موقف «جيش الإسلام» وباقي الفصائل المسلحة الأخرى؛ الرواية الثانية، وهي التي قدّمها الجيش السوري، التي تتحدّث عن اختراق أمني في صفوف «جيش الإسلام». وفي سياق التأكيد على ذلك، وزّع الإعلام الحربي السوري شريطاً حول عملية الاغتيال، وما سبقها من متابعة طائرة استطلاع لحركة الملتحقين بالاجتماع المقرّر، واكتمال عقده في مزرعة منعزلة في أوتايا في الغوطة الشرقية، حيث تظهر الصور انتظار الطيار السوري اكتمال عقده، ومن ثمّ مباغتة الطيار بموجتين من أربعة

٢٣-١١-٢٠١٣.

٣٧ - صهيب عنجريني، «صقور الشام» تنضم إلى «أحرار الشام»... ماذا عن «النصرة»؟، الأخبار، ٢٣ آذار ٢٠١٥.

٣٨ - النهار، مقتل زهران علوش متنفس للجهاديين! ضمن أخبار ذات صلة، ٢٧ كانون الأول ٢٠١٥، نقلاً عن أف ب.

صواريخ في كل منها، أطاحت بالمبنى الذي كان يتواجد فيه زهران علوش، وبمبنى يحاذيه، تجمّع فيه مرافقو القادة المستهدفين^(٣٩).

الصور التي تضمّنها الشريط تظهر بوضوح انتظار الطيار السوري اكتمال عقد المجتمعين، والتحاق ثمانية عشر شخصاً، بعدد مماثل من قيادات من أحرار الشام وفيلق الرحمن، وزهران علوش، والصفّ الأوّل من جيش الإسلام^(٤٠).

تعيين قيادة جديدة

لم تَمْض ساعات على اغتيال زهران علوش حتى سارع مجلس شوري «جيش الإسلام» إلى تعيين القيادي البارز فيه عصام خالد البويضاني الملقّب بـ«أبو همام البويضاني»^(٤١) في منصب القائد العام للجيش، خلفاً لعلوش. وفور تعيينه، تعهّد البويضاني باستكمال مسيرة سلفه علوش، مؤكداً أنّ الأخير «أسس منظومة مؤسسية، لها مجلس قيادة وهيئة أركان منسجمة ومتناسقة حول الرؤى والأهداف»، وقال بويضاني في كلمة له يوم الجمعة في ٢٥ كانون أول ٢٠١٥ إنّ «جيش الإسلام» كان في طليعة ركب الجهاد، والذي أسس ليكون جيشاً جامعاً للمسلمين منهجه الوسطية والاعتدال»، داعياً الدول الصديقة إلى «مواصلة دعم الشعب السوري وثورته». كما دعا الفصائل السورية لتوحيد صفوفها، محذراً إياها من «الشذوذ عن الحق» على حدّ قوله.

وشدّد البويضاني على أنّ «جنود جيش الإسلام» ماضون في مسيرتهم حتى إعادة الحق إلى أصحابه وعدم توفير الجهد في سبيل رفع الظلم عن المظلومين وإعادة الحقوق ونشر العدل والأمن للمستضعفين^(٤٢).

وفي المجمل، فقد تمحورت النقاط التي تناولها البويضاني على الأمور الآتية^(٤٣):

- قيام عقيدة جيش الإسلام على الاعتدال.
- مواصلة جيش الإسلام منهجه في القتال حتى إسقاط النظام في سوريا.
- مواجهة ما وصفه بالقوى المحتلة، وعنى بها إيران وروسيا والقوى الخليفة الأخرى.
- الاستمرار في مواجهة التطرّف والغلو، ويقصد بها تنظيم «داعش».

٣٩- أنظر: دمشق تنشر مقاطع اغتيال «علوش»، حيث وزع التلفزيون العربي مقاطع من الصور التي بثها الإعلام الحربي السوري لعملية الاستهداف، ٢٠١٥ الأحد ٢٧ كانون الأول / ديسمبر، <http://www.egypttoday.co.uk/news/video>,

٤٠- ديمة ناصيف، زهران علوش قتيلاً.. وشبهات باختراق أمّني يسمم «جيش الإسلام»، الميادين <http://www.almayadeen.net>، ٢٦ كانون أول ٢٠١٥.

٤١- نشأ البويضاني في أسرة كبيرة وملتزمة، تعمل في التجارة وتملك محلات في سوق البويضاني في مدينة دوما، لكنه تركها والتحق بالعمل العسكري بالمعارضة السورية المسلحة. ولد عام ١٩٧٥. صدرت بحقه مذكرة توقيف من الإدارة العامة للمخابرات السورية، كما كان مطلوباً لجهاز الأمن السياسي منذ عام ٢٠٠٩. تولى مسؤولية قيادة كتيبة «بلال بن روح الله» سابقاً، كما قاد «لواء الأنصار»، ومن ثم قائداً لعمليات «جيش الإسلام» في الغوطة الشرقية. والبويضاني هو أحد نواب علوش. ونشرت صفحة «جيش الإسلام» على «تويتر» أنّ بويضاني ابن أسرة عريقة من عائلات الشام، تلقى العلم الشرعي على يد مشايخ دمشق وحاز على شهادة في إدارة الأعمال، وأضافت: «كان أحد مؤسسي «سرية الإسلام»، ثم تقلد منصب قائد «ألوية ريف دمشق»، ثم عين قائد عمليات في ريف دمشق، فقائداً لـ«ألوية جيش الإسلام» في سوريا ورئيساً لهيئات «جيش الإسلام». أشرف البويضاني على إدارة العديد من المعارك، وساهم في وضع استراتيجية دفاعية لحماية الغوطة.

٤٢- الشرق الأوسط، زعيم جيش الإسلام الجديد: نحن معتدلون ونقاتل لأجل، [HTTP://WWW.NEWSJS.COM](http://WWW.NEWSJS.COM)، ٢٦ كانون أول ٢٠١٥.

٤٣- حوار أجرته «شبكة الثورة السورية مع البويضاني ونشرته عبر صفحتها على موقع فيس بوك.

- مساعدة ما أسماه «الشعب الثائر» على تحقيق مطالبه، والعمل على تحرير المعتقلين في سجون النظام.
- التأكيد على التماسك في صفوف «جيش الإسلام»، وعدم حصول خلاف داخلي بعد وفاة علوش، وإجماع أعضاء مجلس القيادة على القائد الجديد خلال ساعات.
- دعوة الفصائل المقاتلة إلى التوحد، وطالب المقاتلين بتوحيد كلمتهم.

ويلاحظ أن البويضاني آثر التملص، في الملف السياسي، من إعلان موقفه من بعض القضايا الحساسة والjøهرية المتعلقة بمستقبل النظام في سوريا والحياة السياسية عامة، وتحديدًا حول الديمقراطية والانتخابات والحكومة المدنية، وأحال الأمر إلى الشعب للبتّ بشأنها، وقال: إنّ الجيش شريحة من الشعب السوري «ولسنا ممثلين لهم أو متحدثين باسمهم حتى نحتكر القرار عنهم، ولنا كامل الثقة بخياراتهم، وهم من أشعل فتيل الثورة وحماها ودافع عنها وقدم التضحيات في سبيلها، وإذا خالفناهم في نقاط ما فليس لنا أن نكرههم على فعل شيء».

الانشقاقات داخل «جيش الإسلام»

لم يشهد «جيش الإسلام» تعددًا في حالات الانشقاق داخله، ولعل الانشقاق البارز والأهم الذي حصل إبان خروج قائده زهران علوش من الغوطة وسفره إلى تركيا ومن ثم إلى السعودية واللغظ الذي وقع داخل مكونات «جيش الإسلام»، ومن جانب جماعات مسلحة أخرى، حول أهداف علوش من تلك الزيارة؛ ففي خضم هذا الجدل أعلنت القيادة العسكرية لـ«جيش الإسلام» في ريف دمشق الغربي في بيان لها، نشر على مواقع التواصل الاجتماعي، حلّ «جيش الإسلام» في منطقتهم، وتشكيل «جيش أحباب الله» في ريف دمشق الغربي والقيطرة؛ وذلك لأخطاء شرعية، عدد البيان منها ما يلي:

١. نقض الميثاق الشرعي الذي تعاهدت عليه جميع قيادات الفصائل العسكرية المشكّلة لجيش الإسلام.
٢. مخالفة السياسة الشرعية التي كانوا يريدون انتهاجها في هذه المنطقة، كعدم توجيه السلاح سوى نحو النظام.
٣. محاربة «المجاهدين» في لقمة عيشهم، والتحكّم بآرائهم عن طريق سياسة التجويع، علماً أنّ راتب «المجاهد» لا يتجاوز ٢٠ دولار، على حدّ زعمه.
٤. إصدار فتاوى غير شرعية، كالإفتاء لأحد المجاهدين بالمصالحة مع النظام.
٥. التفرد والتسلّط بالقرار من قبل القيادة العامة على مجلس الشورى والقيادات العسكرية التي كانت مشكلة لهذا الجيش.

وختم البيان بالقول «ما خفي أعظم وأكبر»^(٤٤).

علاقته مع المعارضات الأخرى

يصف «جيش الإسلام» الانقسام القائم بين الفصائل بالمرض، وبحسب المتحدث الرسمي لجيش الإسلام محمد علوش في حديث خاص مع «العربية نت» «أنّ مرض السوريين الراهن يكمن بالاختلاف الذي هو قائم أيضاً وسط

٤٤- لؤي اسماعيل، انشقاق في جيش الإسلام بريف دمشق الغربي!، الحدث نيوز نقلاً عن موقع «زنوبيا»، ٢٧ نيسان ٢٠١٥.

الجيش الحر، مرجعاً أسباب اختلاف الفصائل إلى «اختلاف المدارس الفكرية الإسلامية، كالأخوان والسلفية، وهذا لا يجب أن يكون في هذه المرحلة»^(٤٥).

ولعل تكوين «جيش الإسلام» من اندماج فصائل عديدة وفتح الباب للفصائل الأخرى للانضمام إليه، الذي عبّر عنه في بيان تشكيله الأول، أبرز شاهد على تلك الطموحات. ويؤيد ذلك ما ورد في المقابلة المطوّلة لزهرا علوش بتاريخ ٢١ أيلول ٢٠١٣ وزّع نصّها «جيش الإسلام» على موقع «يوتيوب» وتحدّث فيها عن توحد عشرات المجموعات في إطار تشكيل «جيش الإسلام» قبل شهر، وقال: «نأمل أن يكون هذا الاتحاد فاتحةً لاتّحادات أخرى أكبر»، وعن موقفه من بقية الفصائل المسلّحة قال: «إننا نرحّب بأيّ شخص خرج مجاهداً من أجل الله ودفاعاً عن دين الله». وقال إنّ الفصائل في سوريا أنواع، ومنها ما يأخذ صدىً إعلامياً أكبر من واقعها على الأرض، والعكس صحيح. و«عموماً، نحن نتعاون مع الفصائل الأخرى، خصوصاً الإسلامية». وتحدّث عن شريط فيديو لأحد قادة «جيش الإسلام»، وفيه انتقادات لـ«النصرة»، فأوضح: «جبهة النصره فصيل إسلامي مقاتل منتشر في سوريا، وهم إخوة ذوو بأس شديد ونكاية في الأعداء، واشتركتنا معهم في كثير من المعارك، ورأينا منهم الإقدام والجهد الطيّب، وأنا شخصياً اجتمعت بشرعيّ جبهة النصره «أبو مارية القحطاني» (المسؤول الشرعي)، وما وجدت فرقاً بين شرعيّ جبهة النصره وشرعيّ جيش الإسلام، وقلت لو أنّنا كنّا فصيلاً واحداً لكان أبو مارية هو شرعي «جيش الإسلام»، وأضاف أنّه يُثني على «أبو محمد الجولاني الفاتح (قائد جبهة النصره) الذي من خلال اجتماع جمعني به قديماً - منذ حوالي عامين - لمست فيه الحرص على مستقبل الأمة، ومع طلب للعلم وثقافة إسلامية عالية». وشدّد على «أنّنا نحن في «جيش الإسلام» نثني على إخواننا في جبهة النصره، ولا نعتبرهم خوارج كما يُشاع عنا»، وقال إنّ «لا يهمنّا إن رضيت (علينا) الدول التي لها موقف من جبهة النصره»^(٤٦).

وأقام «جيش الإسلام» تحالفات وشارك في تشكيل أطر وغرف مشتركة مع فصائل عديدة، وغالباً ما كانت إثر أحداث ومصادمات مع أطرافها أو في محطات حسّاسة ومفصليّة متنوّعة أو ردّاً على تحالفات أو غرف مقابله، كتتحالف «الجبهة الإسلامية» الذي لم يدم طويلاً، وإنشاء غرفة عمليّات دمشق وريفها^(٤٧)، والغرفة المشتركة لأهل الشام لمدينة حلب وريفها بين «جبهة النصره» التابعة للقاعدة والجبهة الإسلامية (التي يشارك فيها «جيش الإسلام») وجيش المجاهدين في ٢٤ شباط ٢٠١٤، و«القيادة الموحّدة» للغوطة الشرقيّة في آب ٢٠١٤^(٤٨)، وغرفة عمليّات حلب في ٢٦ نيسان ٢٠١٥ التي ضمّت ٥١ فصيلاً^(٤٩)، وغرفة العمليّات العسكريّة في الغوطة بين «جيش الإسلام» و«النصرة» في ١٨ تموز ٢٠١٥^(٥٠)، وغرفة العمليّات المشتركة بين «فيلق الرحمن» و«جيش الإسلام» في أيلول

٤٥- جيش - الإسلام : نحن وسطيون وعلماؤنا من الشام فقط، <http://vid.alarabiya.net>، ١١ كانون أول ٢٠١٥.

٤٦- أنظر: قائد جيش الإسلام في سوريا: «جبهة النصره» إخواننا.. ولسنا تابعين لأي دولة، مرجع سابق.

٤٧- شارك في الغرفة «لواء الإسلام قبل أن يصير جيش الإسلام ولواء جيش المسلمين وألوية وكثائب المصطفى وألوية الفرقان وأحرار الشام

٤٨- وضمت جميع الفصائل الكبرى باستثناء «جبهة النصره».

٤٩- أكبر الجماعات المشاركة في الغرفة هي: أحرار الشام، جيش الإسلام، الفوج الأول، الجبهة الشامية، فيلق الشام، كثائب تركمان سوريا، ألوية الفرقان، لواء الحق، جيش السنة، لواء صقور جبل الزاوية، الفرقة الشمالية، الفرقة الوسطى، الفرقة الثالثة عشر، الفرقة السادسة عشر، الفرقة السادسة والأربعون، جيش العزة.

٥٠- بعد خلاف نشب بين جبهة النصره وجيش الإسلام في الغوطة الشرقية على أثر عدة حوادث حصلت منها حوادث اعتقال لشخصيات من الطرفين، تم عقد بتاريخ ١٩-٧-٢٠١٥ اجتماع بين قائد جيش الإسلام الشيخ «زهرا علوش» وقادة جبهة النصره في الغوطة الشرقية الشيخ «أبو عاصم» وتم الاتفاق على التالي: وقف جميع حملات التخوين والتشهير والتحريض من قبل الطرفين ومحاسبة المخالفين للإتفاق، وإعادة تفعيل التعاون الأمني بين الطرفين بكافة الملفات، وإزالة جيش الإسلام حاجز مديرة وتقديمه دراسة لجميع الحواجز المنتشرة في الغوطة ...

٢٠١٥، علماً أنّهما يعملان معاً في إطار «القيادة الموحّدة»، وغرفة العملّيات المشتركة لإدارة وقيادة المعركة في منطقة المرج^(٥١) في كانون أول ٢٠١٥، وإلى غير ذلك.

لكنّ المعروف عن «جيش الإسلام» علاقاته المتأرجحة وغير الودّية مع الفصائل المعارضة المختلفة، الإسلاميّة منها وغير الإسلاميّة، وكذلك طموحاته «لابتلاع باقي الفصائل، أو الالتفاف عليهم بمشاريع جديدة، على غرار ما قام به في مشروع «الجبهة الإسلاميّة» الذي لم يدم طويلاً»^(٥٢).

هذا، مضافاً إلى محاولات «جيش الإسلام» مراراً السيطرة على الفصائل الصغيرة في منطقة الغوطة، وإقدامه على عمليات إلغاء نفّذها ضدّ بعض الفصائل الأخرى، حتى بحق أقرب حلفائه، كـ«الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام» (شباط ٢٠١٦)، ومن قبله «لواء فجر الأمة» (آب ٢٠١٥)، و«ألوية تحرير الشام» (تشرين أول ٢٠١٥) و«جيش الأمة» واعتقال قائده أحمد طه وعدداً كبيراً من عناصره وحلّ التنظيم (٤ كانون الثاني ٢٠١٥)، واعتقال قائد «لواء شهداء دوما»؛ وذلك كلّ بهدف بسط سيطرته ومدّ نفوذه على منطقة الغوطة.

وكذلك الأحداث والتوترات والتآلفات غير المستقرّة التي حكمت العلاقة بين «جيش الإسلام» والفصائل الكبرى المنافسة، كـ«جبهة النصرة» و«أحرار الشام» - أكبر فصليين مسلحين سلفيين منافسين له، قوّة وعدداً وامتداداً، على الساحة السورية - فضلاً عن الفصائل الأخرى، يثير علامات الاستفهام حول التآلفات التي يقيمها «جيش الإسلام»؛ فالإ جانب المواجهة المسلّحة المباشرة له مع النصرة، كالذي جرى في بلدة مديرا بتاريخ ١٢ تموز ٢٠١٥، نجد أنّ مؤسّس «جيش الإسلام» وقائده السابق زهران علوش يجهر باتّهامه للنصرة بأنّها وراء قرار عدم تلبية طلبه الانضمام إلى غرفة «جيش الفتح» «في إدلب»^(٥٣). واعتبار أنّ مشكلة النصرة الأساسيّة ارتباطها بتنظيم القاعدة الأمر الذي لم ير فيه مشكلة سابقاً.

والأمر نفسه بالنسبة لأحرار الشام، ونجد أنّ المنافسة والخلاف قائم بصورة بارزة بين الطرفين، ويبرز ذلك، على سبيل المثال في الإعلان الذي تمّ في تشرين الأول ٢٠١٥ في الغوطة الشرقية عن ولادة تحالف جديد بين كل من حركة «أحرار الشام» وجبهة «النصرة» و«الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام» تحت اسم «جند الملاحم»، لا يضمّ في صفوفه «جيش الإسلام»، الأمر الذي أثار حوله علامات الاستفهام، خصوصاً لناحية التوقيت، ما دفع بعدد من المراقبين إلى القول بأنّ الهدف الأساس منه محاربة نفوذ جماعة علوش، الذي يحكم الغوطة الشرقية بقبضة حديدية، تمنع أيّ جهة لا تحظى بموافقة من الدخول على الخط^(٥٤).

ولذا، لاحظ بعض المحلّلين أنّه «على الرغم من كل التحوّلات التي تشهدها الساحة السورية، لم تتضح حتى الساعة طبيعة العلاقة التي تجمع بعض الكتائب والفصائل العسكريّة المعارضة، خصوصاً كل من «جيش الإسلام» وحركة «أحرار الشام» و«جبهة النصرة»، فهي قادرة على التحالف والتخاصم في يوم واحد، من دون أن تقدّم تبريرات عمليّة يمكن فهمها، باستثناء قتال الجيش السوري، بهدف منعه من التقدّم نحو المناطق التي تسيطر عليها.

٥١ - تشكلت الغرفة المشتركة في كانون أول ٢٠١٥ من «جيش الإسلام، جبهة النصرة، الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام، حركة أحرار الشام، وفيلق الرحمن»، وجاء ذلك بعد أيام من سيطرة القوات السورية، مدعومة من حلفائها، على أجزاء واسعة من منطقة مرج السلطان والمطار الاحتياطي بالغوطة الشرقية

٥٢ - طارق العبد، عين «جيش الإسلام» على سجن عدرا، ١٠ أيلول ٢٠١٥.

٥٣ - أنظر: زهران علوش يهاجم «النصرة»... ويقترح حصار الساحل أو «إنهاء وجود القرى الشيعية»، الأخبار، ١٠ تموز ٢٠١٥. فيحسب مقالة الأخبار فقد عرج «علوش» على مطالبات «البعض» بإنشاء «جيش الفتح» في الغوطة الشرقية، منوهاً بدايةً إلى أن «جيش الإسلام» قدم طلباً للانضمام إلى غرفة «جيش الفتح» التي حررت إدلب، لكن انتهى.

٥٤ - ماهر الخطيب، ماذا يجري بين «النصرة» و«جيش الإسلام» بالغوطة الشرقية؟، النشرة، ٢٣ تشرين الأول ٢٠١٥

ونجد، مثلاً، أنّ «هجوم زعيم «النصرة» الإرهابي أبو محمد الجولاني على المشاركين في مؤتمر الرياض، عبر وصفهم بـ«الخونة»، ومن ثم نفيه وجود ما يسمى «الجيش السوري الحر»، الأمر الذي ردّ عليه «جيش الإسلام» بشكل مباشر عبر رفع شعار «نحن الجيش السوري الحر»، لم يمنع الجانبين من التحالف ضمن غرفة عمليات مشتركة لإدارة معركة المرج في الغوطة الشرقية، بعد التقدّم الكبير الذي أحرزه الجيش السوري في المنطقة»^(٥٥).

موقف جيش الإسلام من الهدنة

شارك «جيش الإسلام» في جولة المفاوضات الدوليّة التي انعقدت في ٢٩ كانون الثاني ٢٠١٦ في جنيف، برعاية مبعوث الأمم المتحدة ستيفان دي ميستورا، من خلال رئيس مكتبه السياسي محمد علوش (كبير المفاوضين في وفد المعارضة السورية).

وجاءت جولة مفاوضات «جنيف ٣» في العام ٢٠١٦ بعد جولتي ما سمي بمفاوضات «جنيف ١» عام ٢٠١٢، و«جنيف ٢» عام ٢٠١٤، واجتماع فيينا في تشرين الثاني ٢٠١٥، وموافقة مجلس الأمن في ١٨ كانون الأول ٢٠١٥ بالإجماع على مشروع قرار أميركي (رقم ٢٢٥٤)، ينصّ على ضرورة إنجاح المفاوضات بين السوريين، تحت الإشراف الأممي، وتنتج هيئة حكم ذات مصداقيّة، وتشمل الجميع وغير طائفية، مع اعتماد مسار صياغة دستور جديد لسوريا في غضون ستة شهور، مع إجراء انتخابات في غضون ١٨ شهراً بإشراف أممي. وقد شدّد القرار «على ضرورة وقف شامل لإطلاق النار في كل المناطق السورية مع بدء الخطوات الأولى لعملية الانتقال السياسي»^(٥٦).

وتمحورت جولة مفاوضات «جنيف ٣» حول وثيقة المبعوث الأممي إلى سوريا دي ميستورا، التي تضمّنت ١٢ بنداً^(٥٧)، منها البند الذي ينصّ على «وقف إطلاق النار، ابتداء من ظهر الجمعة ٢٦ شباط، ويستثنى «تنظيم الدولة وجبهة النصرة وباقي التنظيمات الإرهابية».

وكان واضحاً الحماسة الدوليّة لإحراز الهدنة في سوريا، ودعم مبادرة المبعوث الدولي في هذا الشأن، وبخاصّة من الجانبين الروسي والأميركي؛ وبرز ذلك بصورة قويّة في إعلان الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، في كلمة متلفزة مساء الاثنين ٢٢ فبراير/شباط، أنّه ونظيره الأميركي باراك أوباما اتّفقا في حديث هاتفي، بمبادرة من الجانب الروسي، على بيان مشترك لوقف إطلاق النار في سوريا، ابتداء من السبت المقبل ٢٧ فبراير/شباط^(٥٨)، تلا ذلك إعلان الأمم المتحدة في ٢٦ فبراير/شباط عن انعقاد الاجتماع الأول لـ «فريق العمل حول وقف إطلاق النار» في سوريا في جنيف،

٥٥- ماهر الخطيب، جيش الإسلام يتحالف مع جبهة «النصرة»... أين مؤتمر الرياض؟، النشرة، ١٦ كانون الأول ٢٠١٥.

٥٦- أنظر: موقع الجزيرة: <http://www.aljazeera.net>.

٥٧- تؤكد الوثيقة على تشكيل جيش سوري موحد، تنخرط في صفوفه الفصائل المسلحة، التي ستقبل بالدستور الجديد، وتتعترف بالحكومة الانتقاليّة، وضرورة مكافحة الإرهاب، واحترام سيادة سوريا واستقلالها ووحدة أراضيها، والتمسك فيها بدولة ديمقراطيّة متعدّدة الطوائف، تقوم على التعدديّة الاجتماعيّة والسياسيّة، وتمثّل جميع مكوّنات المجتمع السوري، وتمنحهم حقوقاً متكافئة. والتشديد على ضرورة الالتزام في سوريا ما بعد التسوية بسيادة القانون، واستقلال السلطة القضائيّة، والمساواة في الحقوق، وغياب التمييز، واحترام حقوق الإنسان، والحريّات الأساسيّة للإنسان. وناشد المبعوث الأممي المتفاوضين في ورقته، التوافق على إقرار حقوق المتضرّرين جزاء الأزمة السورية وتعويضهم، ممّا سيتم جمعه من تبرّعات ستقدّمها الدول والجهات المانحة. وتشدّد الورقة على رفض السورين وجود أيّ فصائل أجنبيّة مسلّحة على أراضي بلادهم، وتطالب الجميع بتجفيف منابع تمويل الإرهاب في سوريا، وبأن يتركز السلاح في سوريا بيد الدولة والأجهزة الرسميّة حصراً.

٥٨- روسيا اليوم، اتفاق روسي أميركي لوقف إطلاق النار في سوريا ابتداء من السبت، ٢٢ شباط ٢٠١٦.

قبل موعد سريان الهدنة، وأن أطراف النزاع كافة وافقت عليها^(٥٩).

وفي المقابل، برز موقف آخر، بدا غير راض عن مآل الأمور فيما خصّ الاتفاق الأممي المعلن بهذا الشأن، وبرز بشكل خاص من جانب الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، الذي قال، خلال افتتاح المؤتمر الدولي السادس حول الصومال - وبعد يوم واحد من إعلان الرئيس الروسي بوتين عن الاتفاق مع نظيره الأميركي - إن تركيا لن تبقى صامتة إزاء هذه المذابح والمآسة في سوريا؛ لأنّ سوريا شريكة معنا في التاريخ والمستقبل^(٦٠). وبدوره، أعلن نائب رئيس الوزراء التركي نعمان كورتولموش في مؤتمر صحفي عن عدم تفاوله بالهدنة المعلنة، وقال «أرحب بهذه الهدنة، لكنني لست متفائلاً جداً إزاء احترامها من قبل كل الأطراف»، وأبدى تحفظات حول استمرارية وقف إطلاق النار نظراً للشكوك حول مواصلة الضربات الجوية الروسية^(٦١).

وفي موقف محاك تقريباً للموقف التركي، اعتبر ممثل «جيش الإسلام» في «جنيف ٣» محمد علوش، في أول تعليق له، أن «الهدنة هي إجراء مؤقت، ولم يكن مخططاً لها»^(٦٢). مبرراً موقفه بأن «القوات الحكومية تقوم بحشد القوات في محاولة للسيطرة على مزيد من الأراضي الخاضعة لسيطرة المعارضة»، وأضاف أن «القبول بوقف النار في ظلّ الأوضاع الراهنة يعني بطبيعة الحال استسلام قواتنا، وجيش الإسلام ماضٍ في الدفاع عن الشعب» على حدّ قوله^(٦٣).

وأعقب تصريح محمد علوش بيان للمتحدّث باسم جيشه إسلام علوش بتاريخ ٤ آذار ٢٠١٦ نفى فيه انضمام قواته في بلدة الرحبية في القلمون الشرقي لاتفاق وقف إطلاق النار، واعتبر أن أيّ قرار يخصّ الهدنة يعتبر هدنة على مستوى سوريا، سيتمّ اتخاذه بالتشاور والتنسيق الكامل مع فصائل الثوار العاملة على الأرض ومع الهيئة العليا للمفاوضات^(٦٤).

ومن المعلوم أن الهيئة العليا للمفاوضات في المعارضة السورية كانت أعلنت عن موافقتها على هدنة مؤقتة في سوريا لمدة أسبوعين فقط، وقد لقي ذلك تأييداً من فصائل المعارضة السورية، وفقاً لما أعلنه رئيس الهيئة العليا للمفاوضات رياض حجاب أن المعارضة أبدت موافقة أوليّة على التوصل إلى هدنة مؤقتة، بشرط أن يتمّ ذلك وفق وساطة دولية، أهمّها توفير ضمانات أمميّة، بحمل روسيا وإيران على وقف القتال، وفكّ الحصار عن مختلف المناطق، وتأمين وصول المساعدات للمحاصرين، وإطلاق سراح المعتقلين^(٦٥).

وكان لافتاً أنّ بعض الفصائل المستثناة من قرار وقف إطلاق النار، ولا سيما «جبهة النصرة» كان أكثر تقدماً من موقف «جيش الإسلام» من الالتزام بالهدنة عند إعلانها عملياً، فقد التزم عناصرها الهدنة من تاريخ بدء سريان مفعولها يوم ٢٧ شباط، وفقاً لما نقلته وكالة (رويترز)، رغم إعلان زعيمها «أبو محمد الجولاني» رفضه للاتفاق، قبل يوم من

٥٩ - الوكالة الوطنية للإعلام، الاجتماع الأول لفريق العمل حول وقف إطلاق النار في سوريا بدأ في جنيف، ٢٦ شباط ٢٠١٦.

٦٠ - النشرة، أردوغان أكد ان تركيا لن تبقى صامتة إزاء المآسة في سوريا، ٢٣ شباط ٢٠١٦.

٦١ - الجمهورية، تركيا غير متفائلة حيال تطبيق الهدنة في سوريا، ٢٣ شباط ٢٠١٦.

٦٢ - أنظر: الديار، هدنة صعبة مؤقتة في ٢٧ شباط بمباركة أميركية - روسية تستثني داعش والنصرة، ٢٣ شباط ٢٠١٦.

٦٣ - أنظر: «جيش الإسلام» يخرج من الهدنة في سوريا، ٤ آذار ٢٠١٦، <http://syriaalyom.com/>.

٦٤ - بيان باسم المكتب السياسي لجيش الإسلام ٤ آذار ٢٠١٦.

٦٥ - الديار، المرجع السابق نفسه.

سريانه، في تسجيل صوتي، ودعوته إلى وجوب تكثيف الهجمات، وقوله إنَّ «السبيل الوحيد للخلاص من النظام هو القتال لا الهدنة»، لكنَّ «رويتز» أشارت إلى أنَّ «مقاتلي النصره يلتزمون الهدوء منذ سريان الهدنة، وتخلّوا عن بعض محاكمهم الإسلاميّة، وقلّوا من وجودهم عند نقاط التفتيش»^(٦٦).

وعلى أيّ حال، بدأ «جيش الإسلام»، منذ البداية، غير متحمّس لقرار وقف إطلاق النار، وبرز ذلك في الهجمات القويّة التي شنتها فصائل مسلّحة في اليوم الثاني من نيسان وما بعده، على ريف حلب الجنوبي وريف اللاذقيّة الشمالي، بالاشتراك مع «جبهة النصره»، من ضمنها فصائل مشاركة في الاتفاق، كـ«جيش الإسلام» و«أحرار الشام»، وتمكّنت خلاله من السيطرة على نقاط استراتيجية، مثل تلة العيس في ريف حلب الجنوبي، وبدأ أن لرئيس المكتب السياسي لـ«جيش الإسلام» «دور بارز في التحريض على إنهاء الهدنة والعمل على إسقاطها، حيث وجّه إلى قائد «أحرار الشام» طلباً واضحاً «بتوحيد الصفوف وإشعال الجبهات»، باعتبارها اللغة الوحيدة التي يفهمها النظام»^(٦٧).

خلاصة عامة

وبخلاصة، فإنّ تنظيم «جيش الإسلام» من أكثر التنظيمات التي تحمل نزعة مكيفيّة بين نظرائه من التنظيمات السلفيّة المسلّحة في سوريا، فهو متأرجح في مواقفه، ويحمل طموحات عالية تجاه السلطة، وطموحاته غير المحدودة تجعل الأبواب أمامه مشرعة للوصول. ولعل جوشوا لانديس، الخبير في الشؤون السورية في جامعة أوكلاهوما ممّن كتب عن علوش، هو الأكثر دقّة في توصيف قادة «جيش الإسلام»، في قوله: «علوش وموظّفوه نالوا المزيد من الدهاء»، مضيفاً: «زهراّن يريد أن يكون في الجانب المنتصر»، واصفاً «جيش الإسلام التّابع لعلوش والجماعات الإسلاميّة الأخرى بـ «النّماذج القاسية».

٦٦ - رويتز، ٤ آذار ٢٠١٦، نقلاً عن <http://syria-news.com>، رغم رفضها لها.. وكالة: «جبهة النصره» التزمت الهدوء واحترمت «الهدنة».

٦٧ - عبد الله سليمان علي، الهدنة في سوريا على شفير الانهيار، السفير، ٤ نيسان ٢٠١٦.



المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق
The Consultative Center for Studies and Documentation

مؤسسة علمية متخصصة تُعنى بحقلي الأبحاث والمعلومات، وتهتم بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية وتواكب المسائل الاستراتيجية والتحوّلات العالمية المؤثرة.

هاتف: ٠١/٨٣٦٦١٠

فاكس: ٠١/٨٣٦٦١١

خليوي: ٠٣/٨٣٣٤٣٨

البريد الإلكتروني:

dirasat@dirasat.net

www.dirasat.net

الرمز البريدي:

Baabda 10172010

P.O. Box: 24 / 47

Beirut - Lebanon

صادر عن: المركز الاستشاري للدراسات
والتوثيق
إعداد: الدراسات الاجتماعية
تاريخ النشر: نيسان ٢٠١٦
العدد: الثاني